مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

قُرآنُنا

عبدُ الحليم الغِزّي

منشورات موقع زهرائيون

قُـرآنُنـــا

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في تسعة وعشرين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 13 / 03 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلي على مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد وعَجل فَرَجَهُم والعن أعدائهم

اللَّهُمَّ صَلي على فَاطِمَة وأبيها وبَعلِها وبَنيها والسرِّ المُستَودعِ فيها

الحلقة الخامسة

تفسير سورة البقرة من الآية ٣٠ الى الآية ٣٧

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته مسَّاكم الله بالخيرِ والإيمان، وهذه الحلقة الخامسة من برنامج قُرآننا كما جرى في الحلقات السابقة أن نتناول صفحةً واحدةً من صفحات المصحف الشريف اليوم كذلك سنتناول صفحةً من صفحات كتابنا الكريم وصلَ الكلامُ إلى الآية الثلاثون، الآية السابقة وهي الآية التاسعة والعشرون كانت تتحدث عن خلق السماء والأرض وبيّنا جانباً من معانيها في الحلقة الماضية:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

فالآية تتحدث عن خلقة السماء والأرض.

الآية التي سنشرع فيها الكلامُ فيها عن قصة الخلافة في الأرض ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

الآية هذه هي الآية الأولى من قصة الإنسان ومن قصة الخلافة على الأرض، الآية هذه والتي بعدها تتحدث عن قصة أبينا آدم وأمنا حواء سلام الله عليهما قبل أن أشرع في بيان مضامين الآيات الشريفة أود الإشارة إلى نقطتين تتعلقان بقصة أبينا آدم عليه السلام:

النقطة الأولى أو الملاحظة: الأولى أن قصة آدم عليه السلام ليست قصةً تأريخية يعني لو أردنا أن نكتب كتاباً في تأريخ الأنبياء فإن قصة آدم عليه السلام قبل نزولهِ إلى الأرض لا تُكتب في هذا الكتاب، كتب التأريخ تتناول الأحداث التي تجري على الأرض في أماكن معينة في أزمنة معينة تأريخٌ للإنسان منذُ ولادتهِ وإلى وفاتهِ وحياةٌ محكومةٌ ومقيدةٌ بزمانٍ معين وبمكانٍ معين على الأرض هذا هو التأريخ، أما قصة أبينا آدم قبل النزول إلى الأرض فليست هي من التأريخ لأن التأريخ محكومٌ بزمان الأرض وهذه القضية لابد من الإلتفات إليها لأنها ستُعيننا في فهم مجريات قصة أبينا آدم قبل النزول إلى الأرض، قصة آدم تشتمل على مرحلتين: مرحلة ما قبل النزول إلى الأرض وهي خارجُ التأريخ ليست من التأريخ، ومرحلة ما بعد النزول إلى الأرض وهذه هي التي يمكن أن تدخل في كتب التأريخ وهذه هي التي يمكن أن تدخل في كتاب قصص

الأنبياء حين نكتب كتاباً عن قصص الأنبياء حين نتحدثُ عن قصص الأنبياء فإن قصة أبينا آدم عليه السلام تبدأُ منذُ نزولهِ إلى الأرض أما قصتهُ قبل النزول إلى الأرض فهي قصةٌ خارجَ حدود تأريخ الأرض هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني الملاحظة الثانية: التي أود الإشارة إليها أن الأحاديث التي وردت عن الأئمة عن النبي وعن الأئمة صلوات الله عليهم جميعاً في قصة أبينا آدم كثيرةٌ جداً وتشتمل على جهاتٍ مختلفة من المعاني ومن الحقائق لذلك لا أتمكنُ من تناول هذا الكم الكثير من الأحاديث الشريفة في برنامجٍ محدودٍ وفي تفسيرٍ مختصر لربما لو سنحت فرصة أخرى فإني سأتناول قصة أبينا آدم وفقاً لهذا الكم الكثير من الأحاديث والروايات التي جاءت عن نبينا وعن أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلا أن ما لا يُدرك كلهُ لا يُترك كله لذلك سأتناول بحسب ما يسنح به الوقت شيئاً من مضامين هذه الروايات وهذه الأحاديث الشريفة.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ هناك عدة جهاتٍ في هذه الآية: الجهة الأولى قولُ ربك إن ربك قد قال لهم، لمن؟ للملائكة، للجهة الثانية الملائكة، الجهة الثالثة الخليفة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الله سبحانه وتعالى يخاطب الملائكة، الملائكة كما في عقيدتنا والتي نتعلمها من كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم هم أكثر خلقٍ خلقه الله سبحانه وتعالى مواطنهم في كل جنبات الوجود لكن الموطن الأصلي لهم السماوات لا يعني أن الأرض خليةٌ من الملائكة في رواياتنا الشريفة: **ما من قطرةُ مطرٍ تنزلُ إلى الأرض إلا وقد وكّل بها مَلك ينزلها إلى المكان الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن تصل إليه تلكم القطرة.** وفي الروايات الشريفة: **كادت السماوات أن تؤط أطيطاً من كثرة الملائكة.** الأطيط هو الصوت الذي يصدرُ من مكانٍ بسبب ثقل وكثرة ما وضع عليه على سبيل المثال مثلاً إذا كان عندنا مثلاً منضدة من الخشب وجئنا بحاجاتٍ كثيرة فوضعناها على هذه المنضدة لَمَّا يَكثُر وزن هذه الحاجات يصدر صوت من هذه المنضدة الخشبية يُقال لهُ أطيط فكأنها تريد أن تقع من كثرة ما وضع عليها من الحاجات، فكادت السماوات أن تؤط أطيطاً من كثرة ما فيها من الملائكة، فالملائكة هم أكثر خلق الله وهم أصناف وشعوب وأمم ومراتب ودرجات وليس الحديثُ هنا عن الملائكة لكننا في جو هذه القصة وفي جو هذا الموضوع، الله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وهنا جاء استعمال هذا

الاسم ربُّكَ والربُّ هو المربي فهو الذي خلق الملائكة ورباهم وهو الذي خلق الخليفة الذي سيكون خليفة عنه على الأرض رباهُ وسيربيه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ معنى الخليفة هنا ما المراد من الخليفة في هذه الآيات الكريمة الخليفة هنا فيها إشارة إلى أكثر من وجه، الخليفة يُراد منهُ المعنى المباشر للخليفة بشكله الحسي والمادي وهو أبونا آدم لأنه هو المستخلف الأول من الجنس البشري من الجنس الإنساني الذي نزل على الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ المراد آدم أبونا، والمراد ربما المعنى الثاني ولكن بدرجةٍ أضعف مُرادي بدرجة أضعف لا من الجهة العلمية وإنما بدرجةٍ أضعف في الاستخلاف لربما المراد من الخليفة هنا النوع البشري الجنس البشري ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني إني أجعل بني الإنسان خلفاء في هذه الأرض وهناك معنىً أدق وأعمق من هذه المعاني أن المراد من الخليفة الذي يكون مماثلاً مشابهاً مرادي مماثلاً ومشابهاً أي أنهُ يعكسُ وتتجلى فيه صفات الذي قد استخلفه لذلك قال خليفة.

الله سبحانه وتعالى حينما يستخلف خليفةً فهذا الخليفة تتجلى فيه صفاتُ الباري سبحانه وتعالى، لذلك نحن الآن في هذه الحياة الدنيوية حينما يريد القائد العسكري أن يستخلف أحداً على جنودهِ أو على معسكرهِ قطعاً لن يأتي بطبيبٍ أو بنجارٍ أو بمُعلِّم وإنما سيضعُ خليفةً له على جندهِ وعلى عسكرهِ برجلٍ عسكريٍ يقاربهُ في المعرفة والخبرة والقيادة العسكرية وهكذا حينما يريد مدير المستشفى أو مدير مؤسسة طبية أن يستخلف أحداً مكانه فقطعاً لن يأتي بمهندسٍ ولن يأتي بمتخصص بعلوم الفضاء لابد أن يأتي بمتخصصٍ بالطب متخصصٌ في الطب هو الذي يستخلفهُ في هذا المكان ولابد أن تكون خبرتهُ ولابد أن يكون اطلاعهُ مقارباً للذي استخلفهُ وهكذا في كل شيءٍ حتى المرأة حينما تطبخُ شيئاً في مطبخها وتريد أن تخرج من البيت فقطعاً ستستخلف على قدرها الموجود على النار إما الكبيرة من بناتها وإما أفضل بناتها في قدرتها على الطبخ فتستخلفها على هذا القدر وهكذا في كل شيءٍ في كل صغيرةٍ وكبيرة حتى الأطفال حينما يستخلف بعضهم بعضاً في اللعب فإنما يأتي بمن يملك مهارة أكثر من غيره لنفرض أن فريقاً من الأطفال يلعبون وكبيرهم أراد أن يذهب كبير هذا الفريق من الأطفال فحينما يريد أن يستخلف رئيساً على هذا الفريق فإنهُ سيختارُ طفلاً من الأطفال ممن لهُ مقدرة على إدارة اللعبة بدرجة قريبة منه وهذه هي سنة الحياة وهذا هو منطق العقل ومنطق الحكمة.

الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يستخلف خليفةً على الأرض لابد أن يكون هذا الخليفة في صفاتهِ في قدراتهِ في علمهِ في حكمتهِ لابد أن يكون مقارباً لصفات الله سبحانه وتعالى لابد أن يحمل من صفات الله، كما

يقول نبينا صلى الله عليه وآله وليس هذا بغريب النبي صلى الله عليه وآله يطالبنا نحن، **يقول: تخلَّقوا بأخلاق الله.** أليس يطالبنا نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله فيقول لنا، لي ولكم الخطاب: **تخلَّقوا بأخلاق الله.** يعني أننا نستطيع نتمكن من أن نتصف بالأخلاق الإلهية وإلا لو لم نكن نملك هذه القدرة لَمَا خاطبنا النبي صلى الله عليه وآله لأن ذلك خلاف الحكمة، النبي حكيم ولا ينطقُ إلا عن حكمة فحينما يقول لنا: **تخلَّقوا بأخلاق الله.** هذا يعني أننا نملك القدرة على أن نتصف بأخلاق الله سبحانه وتعالى، هذا أنا وأنتم فما بالكم بمن يملك الكمال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون، فستكون الخلافة الحقيقية حينئذٍ لمن قد بلغ إلى الكمال وهل هناك أكملُ من نبينا؟! وهل هناك أكملُ من العترة الطاهرة؟!

قطعاً من بديهيات عقائدنا ومن بديهيات فكرنا ومن بديهي القول أن أفضل الخلائق النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون صلوات الله عليهم فحينئذٍ حينما يريد الباري أن يستخلف خليفةً لابد أن يستخلف الأفضل ولذلك الخلافة الحقيقية المشار إليها في هذه الآيات الخلافة الحقيقية هي التي تتجلى وتظهرُ في نبينا وفي الأئمة المعصومين والمعنى الكامل للخلافة يتجلى في إمامة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يتمكن أن ينفذ البرنامج الإلهي في بسط العدل في أن يُظهر الدين على الدين كله، أليس أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يُظهر دينهُ على الدين كله؟!

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ فهل ظهر الدينُ المحَمَّدي على الدين كله؟! لم يظهر لا في زمانهِ صلى الله عليه وآله ولا في زمان الأئمة من بعدهِ وإلى يومنا هذا إنما يُظهر الله دينهُ على الدين كله ويتحققُ معنى الخلافة الحقيقية في زمان ظهور إمامنا صلوات الله وسلامه عليه والخلافة الحقيقية هي هذه على الأرض حينما يُظهر الله دينهُ على الدين كله وحينما يُبسطُ العدل على كل الأرض وحينما يُنفى الظلمُ من كل الأرض وذلك لا يكون إلا حين يظهر إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه على أي حالٍ نحنُ والآيات. ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ الملائكةُ هنا في مقام اعتراضٍ ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ أو هنا يستفهمون استفهاماً استنكارياً ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ الإفساد هو معاكسٌ للإصلاح وسفكُ الدماء هو أعلى درجات الإفساد فهم تحدثوا عن الإفساد بشكلٍ عام ثم بينوا مصداقاً من أوضح مصاديق الإفساد ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ وسفكُ الدماء هو أعلى درجات الإفساد في الأرض هذا المعنى من أين عرفهُ الملائكة؟ هذا المعنى عرفهُ الملائكة من عدة جهات:

إما أنهم استصحبوا الحالة السابقة من الاستخلاف في الأرض لأن الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الإنسان على الأرض وقبل أن يُنزل الإنسان إلى الأرض كانت هناك أمم أخرى كان هناك نوع آخر من الخلق كما في الروايات قبل الإنسان كانوا الجان، كانت الجن هي التي استُخلِفت في الأرض وعلى الأرض ومراد استخلفت يعني عاشوا في الأرض وقد أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فيها، قتلوا بعضهم بعضاً، وقبل الجن كان هناك النسناس، النسناس هذه الكلمة كلمة النسناس قد تُطلق على بعض الحيوانات فيُقال على بعض الحيوانات أنها نسناس لكن المقصود هنا من كلمة النسناس خلقٌ آخر قبل الجان كانوا يعيشون في الأرض وافسدوا فيها، فمعرفة الملائكة من جهة الإفساد في الأرض ومن جهة سفك الدماء بحسب ما كانوا قد رأوه في الأمم التي عاشت قبل بني البشر كما في الروايات فكان هناك النسناس وقلت المراد من النسناس خلقٌ آخر ليس ما يستعمل مثلاً قد تُطلق كلمة النسناس على البعض من أنواع القرود وقد تطلق كلمة النسناس على بعض الحيوانات وهذا موجود في اللغة وفي كتب الحيوان وفي كتب التأريخ إطلاقُ كلمة النسناس على بعضٍ من أنواع القرود أو على بعضٍ من أنواع الحيوانات الأخرى الشبيهة بالقرود ولكن حينما استعملُ كلمة النسناس هنا فهي بحسب الاستعمال الروائي بحسب الاستعمال الحديثي وهي أمم كانت موجودة في الأرض وافسدت فنفاها الله سبحانه وتعالى وأخرجهم من الأرض نُفيت هذه الأمم أخرجت هذه الأمم وجاء بعد ذلك بعدهم الجان وأيضاً الجان نفوا من الأرض بسبب الإفساد ثم أن الله سبحانه وتعالى أنزل الإنسان على الأرض فعلم الملائكة آتٍ مما جرى في الأجيال السابقة من الخلق ومن المخلوقات الأخرى التي سبقت بني البشر لذلك ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ .

وقد يكون علم الملائكة بهذا الأمر متأتٍ من طبيعة معرفتهم بالعالم الأرضي وهو عالمٌ ضيق عالمٌ ترابي ومن يعيش في هذا العالم يحتاج إلى مجموعة من الشهوات من الرغبات من الخصائص فحينما يعيشُ المخلوق، المخلوقات أياً كانت في هذا العالم الأرضي بسبب ضيق هذا العالم وبسبب كونهِ أنهُ عالمٌ للتزاحم في المصالح وعالم للتضاد في الرغبات فذلك يؤدي إلى نشوء الخلافات وبالتالي قد يؤدي إلى الإفساد وإلى سفك الدماء، هذا كلامٌ يقولهُ جملة من المفسرين قد يكون مقبولاً من الجهة المنطقية والعقلية لكن لا دليل على ذلك يدل عليه من كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وربما أن الملائكة كانوا يرون المستقبل كانوا يرون الأحداث التي ستحدث بشكلٍ إجمالي كانوا يرون الأحداث بنحو إجمالي فيرون ماذا سيجري في مستقبل الأرض ولذلك قالوا هذا الكلام ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ ثم قارنوا فيما بينهم وبين الخليفة المتوقع ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ والتسبيحُ هو التقديس، التسبيح إذا أردنا أن

نشخص معناه بدقة التسبيحُ هو التنزيه، التسبيحُ قد يقال التسبيح هو التنزيه والتقديس ويصح هذا الكلام لكن لأن الآية هنا ذكرت التسبيح وذكرت التقديس ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ ونحن ننُزِّهُك، نُنزِّهُك عن كل نقصٍ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ من الجهة اللفظية ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ كما نقول في ركوعنا وسجودنا سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده، كما نقول سبحان الله والحمد لله، التسبيحُ مع التحميد ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ التقديس هو الإجلال، التقديس هو الإجلال والإجلالُ المراد منهُ المرادُ من الإجلال هو نفيُ النقائص ونفيُ النقائص وهو الخضوع والخشوع وهو الهيبةُ وهو الخشيةُ أيضاً، الإجلال إنما يتجلى معناه بكل هذه الأوصاف وبكل هذه الصفات.

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ: يعني أنكم يا ملائكتي تتحدثون وتتكلمون وفقاً لمعرفتكم ولِمَا عندكم من معرفةٍ محدودة الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الملائكة بحسب علمهم أياً كان هذا العلم إن كان استناداً لما رأوه في المخلوقات السابقة، الأجيال السابقة، القرون الماضية قبل البشر على الأرض أو لاستنتاجهم من أن هذا العالم عالم ضيق وهو عالم تزاحم وتضادات أو أنهم كانوا يعلمون بشيءٍ عن المستقبل، كان عندهم علم، الملائكة تكلموا وفقاً لعلمهم أياً كان هذا النوع من أنواع العلوم عند الملائكة فهم قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ حكموا على هذه الخليفة ثم بينوا موقفهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ كان الكلام من الله سبحانه وتعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أنتم تتحدثون بعلمكم وأنا حين قررتُ أن أجعل خليفة فإنما ذلك بعلمي وبحكمتي فإذاً الأساس في معرفة الحقائق هو العلم والحكمة ولذلك سيأتينا أن الله سبحانه وتعالى فضَّلَ آدم على الملائكة بأي شيءٍ؟ فضَّل آدم على الملائكة بالعلم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ هذا الجو طبعاً الروايات تتحدث بأن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام من طينةٍ من الأرض وهناك تفصيل في كيفية خلقتهِ أنا قلت الروايات كثيرة ولا يسع المجال للخوض في كل تفاصيلها ثم بعد ذلك نفخ فيه من روحه والكلام هنا في هذه الآيات تتحدث عن الجو وعن الوقت وعن المرحلة التي بدأ الله سبحانه وتعالى تتكاملُ بأمرهِ خلقة آدم.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾ ولا أريد هنا أن أشير إلى الاختلافات في معنى الأسماء هناك اختلاف بين المفسرين وكلامٌ كثير لا أريد الإشارة إليه لكن من خلال نفس الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء

كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ الآن أي إنسان يعرف اللغة العربية لَمَّا يقرأ هذه الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ إذا كانت هذه الأسماء مجرد ألفاظ فسيقول ثم عرضها لا يقول ثم عرضهم إذاً هناك مخلوقات، إذاً هناك كائنات وهذه الكائنات كائنات مذكرة عرضهم عرض هذه الكائنات المذكرة، هناك حقائق ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ فلو كانت الأسماء هذه مراد منها ألفاظ كما يقولون أنهُ اسمُ الجبل للجبل واسمُ الماءِ للماء واسم الحجر للحجر وهكذا لقالت الآية ثم عرضها وليس ثم عرضهم، ثم هل من المنطق أن يُعدَّ هذا علماً بسببهِ يُفضِّلُ الله سبحانه وتعالى آدم على الملائكة ويأمر الملائكة بالسجود لآدم بسبب هذا العلم؟!

العلم بالألفاظ اللغوية ليس علماً وليس ميزةً حتى الببغاء يمكننا أن نُلقنهُ ألفاظاً فيقولها ترديد الألفاظ وإن كان الببغاء لا يعلم معاني الألفاظ لكننا يمكن أن نلقنهُ الألفاظ، العلم بالألفاظ والعلم بالمعاني اللغوية فقط مجرد حروف وأصوات ليس فيهِ الشيء الكثير من الميزة أو التمايز بحيث أن الله سبحانه وتعالى يأمر الملائكة أن تسجد لآدم بسبب هذا العلم لابد أن تكون هناك حقيقة أخرى، أنا قلت في أول حديثي قصة آدم عليه السلام قبل النزول إلى الأرض هي قصةٌ خارج حدود التأريخ هي قصةٌ مليئة بالرموز ليس كما مثلاً تُذكر بهذا الشكل المبسَّط أنهُ خلقهُ من الطين وأدخلهُ في الجنة ثم بعد ذلك أكل فاكهةً من شجرة وبسبب أنهُ أكل أنزلهُ الله إلى الأرض والكثير من الناس يتصورون لأن آدم أكل من هذه الشجرة من التفاح أو من الحنطة أو من العنب على اختلاف الأقوال في هذه الشجرة أنزلهُ الله، الله سبحانه وتعالى كان قد رسم برنامجاً لآدم منذُ البداية وقبل أن يُدخلهُ إلى الجنة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني إن الله سبحانه وتعالى كان قد قرر قبل أن يدخل آدم إلى الجنة قد قرر أن يُنزلهُ إلى الأرض فمن هنا يكون أكلُ آدم وقُربُ آدم من هذه الشجرة وتناول آدم لثمار هذه الشجرة كان جزءاً من عملية إعدادهِ وإنزالهِ إلى الأرض ولم يكن كان المقرر لآدم أن يبقى في الجنة فلأنه أكل من الشجرة فنزل إلى الأرض.

الله سبحانه وتعالى قد قرر هذا الأمر قبل أن يدخل آدم إلى الجنة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فالقضية فيها أبعاد كثيرة لذلك قلت بأن قصة آدم قبل النزول إلى الأرض هي قصةٌ خارج حدود التأريخ لا يمكن أن تُفهم بهذا الفهم السطحي وكأنها حدثٌ تأريخي خُلِقَ من طينٍ فدخل الجنة فأكل فنزل إلى الأرض هذه قصةٌ رمزية ملئى بالرموز وهذه الرموز تتحدث عن مراحل الخلقة التكوينية لآدم، الله سبحانه وتعالى لَمَّا قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هذا الخليفة يختلف عن الأقوام السابقة،

عن القرون السابقة، النسناس حينما خلقهم الله في الأرض ما كانوا يمثلون الله في الأرض والجان حينما خلقهم الله سبحانه وتعالى وأنزلهم في الأرض فما كانوا يمثلون الله ما كانوا خلفاء لله كانوا يعيشون على الأرض لكنهم لم يكونوا خلفاء هذا الجيل من الخلق، بنو البشر تتحقق فيهم معاني الخلافة وليس تتحقق معاني الخلافة مثلاً في شخصي أنا أو في أشخاص الآخرين، معاني الخلافة تتحقق في الخليفة الذي يحمل السمات والصفات والأوصاف كما قلتُ قبل قليل تخلَّقوا بأخلاق الله المعنى الأتم والأكمل للذين تخلَّقوا بأخلاق الله واتصفوا بصفات الله النبي الأعظم والأئمة المعصومون، الخلافة الحقيقية تتحقق في هؤلاء وآدم سجدت لهُ الملائكة لأي شيءٍ؟

لأنهُ كان يحمل علماً في شأن هؤلاء ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ ما المراد من علم آدم بالأسماء؟ ما المراد من هذا العرض نحن لا نملكُ تصوراً كاملاً عن هذه القضية، نعم ورد في الروايات ورد عندنا في الروايات عن إمامنا الحسن العسكري وعن غيرهِ أن الله سبحانه وتعالى ثم عرضهم عرضَ أرواح الأنبياء أرواح النبي وأرواح الأئمة على الملائكة يعني عرضَ صورهم عليهم في عالم الروح في عالم المثال في عالم الملكوت ومثلُ هذه الروايات إنما تُقرِّبُ لنا المعاني نحن هنا لا نملكُ تصوراً دقيقاً عن المراد من علم آدم بالأسماء لكن قطعاً ليس هو كما يقولون علم آدم بالأسماء أن الله علمه قال هذا الشيء اسمهُ جبل وهذا الشيء اسمهُ شجرة وهذا الشيء اسمه ماء وهكذا وهو المعرفة بالألفاظ.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ الأسماء جمعٌ لاسم والاسم مأخوذٌ من السِمة والسِمَة هي العلامة والمراد من العلامة يعني العلامة الكاشفة عن الحقيقة العلامة الموصلة إلى الحقيقة، المراد من الأسماء هنا الحقائق يعني نحنُ الآن حينما نسمي شخصاً باسمٍ من الأسماء هذا الاسم هو صحيح مؤلف من حروف وهذه الحروف حينما يلتصق بعضها بالبعض الآخر فإنها تُشكل لفظاً عبارة عن صوت فحينما نسمي شخصاً بحسن أو حسين هذه التسمية تكاد تذوب وتفنى في وجوده فحينئذٍ حينما نقول حسن ماذا يتبادر إلى الذهن؟ لا يُتبادر إلى الذهن هذه اللفظة وإنما حينما نقول حسن رأساً تنقدح في الذهن صورة هذا الشخص بلحمهِ ودمهِ وعقلهِ وروحهِ وبدنهِ هذا الشخص الذي اسمهُ حسن مثل ما تفنى هناك يحدث حالة فناء بين المرآة والصورة حينما نقف أمام المرآة حينما يقف الشخص أمام المرآة وهو ينظر إلى صورتهِ في المرآة هو الآن ينظر إلى المرآة وإلى الصورة لكنه سينسى المرآة يبقى نظرهُ موجهاً إلى الصورة فقط حينما يريد الإنسان أن ينظر إلى صورتهِ في المرآة هو في الواقع ينظر إلى الصورة وإلى المرآة لكنهُ سيغفلُ عن المرآة ويبقى نظرهُ مشدوداً إلى الصورة وكأنهُ ليس أمامهُ مرآة وإنما أمامهُ صورة فقط لحصول نوع من أنواع الفناء والاندكاك بين معنى الصورة ومعنى المرآة، هذا نفس الشيء يحدث بين الأسماء والمسميات فحينما نسمي شخصاً باسم حسن ونتحدث عن حسن

ننسى أن هذه لفظة وهذه كلمة متألفة من الحاء والسين والنون وهذه حروف وأصوات وإنما حينما نقول حسن فنعني به هذا الكائن البشري بهذه الاوصاف المُشخِّصة والمُميزة له فقيل لهُ أسم لأنهُ سِمة وعلامة وهذه السِمة والعلامة تندكُ في المسمى بحيث يكاد يكون الاسم هو المسمى والمسمى هو الاسم فحينما ننظر إلى حسن الشخص نتذكر الاسم حسن وحينما نذكر أسم حسن نتذكر المسمى الذي هو الشخص فيكون هناك اندكاك فالأسماء هي حقائق ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء﴾ علَّمَهُ الحقائق، هذه الأسماء مندكة في المسميات ولذلك في الروايات أن آدم رفع نظرهُ إلى العرش فرآى الأسماء الخمسة مكتوبة على العرش رآى أسم محمَّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والروايات في هذا كثيرة، وسأل عن هذه الأسماء وأخبرهُ الله سبحانه وتعالى بذلك وحتى حينما دخل في المراتب العالية من الجنان فإنه رآى هناك مثال الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وتفاصيل كثيرة في الروايات.

وأنا قلتُ في أول حديثي هناك روايات وأحاديث كثيرة عن هذا الموضوع لكن لا يسع المجال للخوض في كل جزئياتها، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء﴾ علم آدم كان بحقائق وليس بألفاظ وبهذا العلم تميَّزَ آدم على الملائكة، هناك علمٌ بحقائق وليس بألفاظ يعني إن الله سبحانه وتعالى استخلف آدم في الأرض ليس لأنهُ يعرف أن هذا الارتفاع الأرضي اسمهُ جبل وأن هذا المكان الذي يجري فيهِ الماء اسمه النهر وهكذا وإنما كانت هناك ميزة في آدم أن الله سبحانه وتعالى وهبهُ علماً ومعرفةً بحقائق لم تكن الملائكة محيطةً بها لم تكن الملائكة على علمٍ بها فلمَّا عرفت الملائكة قيمة هذا العلم وقيمة هذه المعرفة عند آدم سجدت لآدم وأقرت بالخضوع لآدم لأن الملائكة هنا لَمَّا عُرضت عليها الحقائق فعرفت إن آدم وعاء أفضل منهم لذلك كان وعاءً لمعرفة هذه الحقائق أما الملائكة فقط عُرضت عليهم الحقائق يعني حصل عندهم علمٌ إجمالي العلم التفصيلي كان عند آدم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ كلها إشارة إلى أن الحقائق كانت مفصلةً عند آدم ولكن بالنسبة للملائكة الملائكة كانت تجهلُ هذه الحقائق فَعُرِضَ عليها عرضٌ إجمالي ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء﴾ بحقائقهم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ نحنُ حين اعترضنا وقلنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ تحدثنا بما عندنا من العلم الذي هو منك أيضاً ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فهناك علمٌ وحكمة ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ إنك العالم وإنك الحكيم ومن هنا كانت فضيلةُ آدم لمعرفتهِ بهذه الحقائق ولذلك إبليس

حسدهُ، إبليس حسد آدم لأي شيءٍ؟ لهذا الفضل الذي نالهُ أبونا آدم عليه السلام لهذا الفضل الذي نالهُ بمعرفة تلكم الحقائق، أيُّ الحقائق؟! الحقائق التي تمثلُ معنى الخلافة.

الله سبحانه وتعالى أراد أن يستخلف في الأرض خليفة وهذا الخليفة وهذا البرنامج هذا النظام نظام الخلافة لا يتحقق بشكلهِ الكامل إلا عبر هذه الحقائق عبر هذه الأسماء ولكن هذه الحقائق كيف تتنزل إلى الأرض لابد أن تتنزل في سياقٍ يتناسب مع العالم الأرضي لذلك كان التنزُّل الأول آدم عليه السلام ومن ثم الأنبياء الذين جاءوا بعد آدم عليه السلام إلى أن وصلت الفترة المناسبة والزمان المناسب فكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا كان البرنامجُ وهكذا كان المشروع الإلهي إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، فهذه الأسماء هي حقائق وليست ألفاظ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ عرضهم أراهم هذه الحقائق كما قلتُ قبل قليل نحن لا نملك صورةً واضحةً كاملةً عن كيفية العرض وعن كيفية علم آدم بالأسماء لكنَّ الإشارات الواضحة في هذه الآيات والكلام الذي ورد في روايات أهل البيت يشير إلى هذه القضية إلى قضية أن آدم كان قد علم علمهُ الله الحقائق وليست أسماء وألفاظ.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعني أن كنتم صادقين في دعواكم باعتبار أنهم ماذا ادّعوا؟ ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ تدّعون أنكم تعلمون عواقب الأمور وتعرفون أن الخليفة الذي قلت لكم بأنهُ سيكون خليفةً في الأرض أنهُ سيفسد ويسفك الدماء ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهنا الكلام غيب السماوات والأرض، غيبُ السماوات والأرض يعني الحقائق الغائبة ما وراء ما يعلمهُ الإنسان ما وراء ما تُدركهُ الملائكة هناك غيب هناك عالم الشهادة في السماوات والأرض بالنسبة للملائكة هناك أيضاً عالمٌ للشهادة بالنسبة لهم الشهادة والشهود، الشهادة ما المراد منها؟ نحن حينما نقول أشهدُ المراد أشهدُ من جملة معانيها أحضرُ، يُقال شَهِد فلان يعني حضر فهناك عالمٌ نحن في محضرهِ.

الملائكة أيضاً هناك عالمُ الملائكة في محضرهِ محضرُ الملائكة عالم الملائكة لكن لهذا العالم غيب غيبٌ وراء هذا المحضر فهنا الآية ماذا تقول ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الله يقول للملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الإشارة واضحة أن الحقائق التي تحدَّثَ عنها آدم والحقائق التي علمها الله لآدم

هي من ذلك العالم من عالم غيب السماوات والأرض من غير العالم الذي كانت تعيشُ فيه الملائكة، من غير محضر الملائكة مثل ما نحن نعيش في عالم الشهادة وهناك غيب وعالم الشهادة بالنسبة لعالم الغيب لا يوجد وجه للمقايسة حتى إذا قلنا القطرة إلى البحر فهذا شيءٌ كثير يعني ما يتجلى في عالم الشهادة بالنسبة لنا إذا أردنا أن نقايسهُ مع ما هو خفيٌ عنا في عالم الغيب فحتى لو أردنا أن نجعل المقايسة بالقطرة إلى البحر فإن ذلك كثير فهناك عالم الشهادة والغيب أيضاً للملائكة، المحضر العالم الذي تحضرهُ الملائكة تقطنهُ الملائكة هو عالم الشهادة بالنسبة لها وهناك عالم الغيب ما ورائهُ فهذه الحقائق التي علَّمها الله لآدم هي حقائق من وراء الغيب من وراء عالم الشهادة الذي كانت تقطنهُ الملائكة.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يعني هذا العلم الذي جاء بهِ آدم هو من عالم الغيب بالنسبة للملائكة قد تكون هناك الكثير من الحقائق بالنسبة لنا غيب وبالنسبة للملائكة ليست بغيب لأن الملائكة هم أيضاً جزءٌ من الغيب بالنسبة لنا فما كان من علمٍ عند آدم كان غيباً مُطلقاً بالنسبة للملائكة لذلك الباري سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ثم قال ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الباري هنا سبحانه وتعالى يشير إلى علمهِ بما في نفس إبليس لأن إبليس الروايات تقول الله سبحانه وتعالى لَمَّا خلق آدم من فخار من طين وتركهُ ممدوداً لمدة أربعين سنة الروايات تقول إن إبليس كان يمر عليه ويقول لأمرٍ ما خُلقت يمر على الجسد الطيني لآدم قبل أن تُنفخ فيهِ الروح ويقول له لأمرٍ ما خُلقت وكان ينقدحُ في نفسهِ هكذا يقول لو أُمِرتُ أن أسجد لهذا المخلوق لَمَا سجدتُ له إبليس كان غاية في الذكاء وبقي هو غاية في الذكاء لكن في الذكاء الذي يقودهُ إلى الباطل وإلى الضلال فحينما كان يمر على الجسد الطيني لآدم عليه السلام يقول لهُ لأمرٍ ما خُلقت وكان قلبهُ يتوجس فكان هكذا يفكر لو أُمرتُ بالسجود له لو أن الله أمرني بالسجود له لَمَا سجدتُ له الآية تشير إلى هذه القضية ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ يعني ما تظهرونه ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الملائكة لم يكونوا يكتمون شيئاً وإنما إبليس كان يكتم هذا الأمر في نفسهِ لذلك الله سبحانه وتعالى أصدر الأمر للملائكة ولم يصدر أمراً خاصاً لإبليس لأنه كان عالماً بأن إبليس لن يسجد ولكن هو إبليس كان يعيش في جملة الملائكة فالأمر يشملهُ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ هذا الإباء والاستكبار استكبر إبليس على آدم ورأى نفسهُ أنهُ أفضل من آدم لكن ما هي أفضليةُ آدم؟ أفضليةُ آدم هو علمهُ بالحقائق المقدسة الأولى هو علمهُ بِمُحَمَّدٍ وآل محمَّد فكان تكبر إبليس على آدم هو تكبر على أهل البيت

لذلك التكبر على أهل البيت جريمة لا يمكن أن تغتفر وجريمة لا يمكن أن تنتهي ولذلك إبليس لن يصل إلى فلاحٍ أو إلى نجاح إبليس نهايتهُ واضحة لأن التكبر على أهل البيت ولأن العناد مع أهل البيت هذه جريمة لن تغتفر وجريمة تؤدي بالإنسان إلى الخلود في جهنم ولذلك خلود إبليس في جهنم هو هذا التكبر لأن أفضلية آدم كانت بعلمهِ بالأسماء بعلمهِ بهذه الحقائق المقدسة وإبليس تكبر على آدم رغم أنهُ يحمل هذه الميزة فكان التكبر على هذه الميزة فمن هنا التكبر والعناد، عناد أهل البيت والتكبر على أهل البيت يقود إلى هذه العاقبة السيئة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ﴾ الملائكة عرفوا الحقيقة أن آدم مُفضَّلٌ عليهم أن آدم مُمَيَّزٌ عليهم، للعلم في روايات أهل البيت إن آدم عليه السلام فُضِّلَ على الملائكة لأنهُ اشتمل على نور شيعة أهل البيت وليس على أنوار أهل البيت هذا المعنى موجودٌ في رواياتنا أنا قلت الروايات كثيرة الواردة في قصة آدم وفيها رموز ومعاني كثيرة ولا أريد الخوضَ في كل تفاصيلها لكن موجود عندنا في روايات أهل البيت إن الميزة التي مُيِّزَ بها آدم على الملائكة هو اشتمالهُ على أنوار شيعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة سجوداً لهذه الميزة ولهذه الخصيصة وهذا مطلب يحتاج إلى توضيح ولست الآن بصدد الدخول فيه لكن بالجملة إن الميزة التي ميّزت آدم على الملائكة هو معرفته بهذه الحقائق هذه الحقائق التي تَمُتُّ إلى أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ كان من الكافرين: البعض من المفسرين يقول بأنهُ كان المراد منها يعني كان في الماضي يعني حتى قبل أن يصدر أمر السجود، قبل صدور أمر السجود لنيتهِ أنهُ التي حدثت في قلبه بأنهُ لو أُمِرَ بالسجود لهذا المخلوق لَمَا سجد لهُ أن الكفر بدأ من تلكم اللحظة وعلى أي حالٍ أنا لا أريد الدخول في كل هذه الجزئيات ﴿فَسَجَدُواْ﴾ الملائكة ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ كان من الكافرين بهذا الإباء وبهذا الاستكبار ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ هذه الجنة هل هي جنةٌ على الأرض؟! هل هي جنةُ الخُلد؟! هل هي جنةٌ في موطنٍ آخر؟! في السماء ما بين السماء والأرض؟! قطعاً هي ليست جنة على الأرض لأنهُ الآيات تتحدث بعد ذلك عن الإنزال الآية الثامنة والثلاثون ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً﴾ هناك هبوط، هبوط إلى الأرض فقطعاً الجنة ليست على الأرض لأن البعض من المفسرين ذهب إلى أن الجنة على الأرض الآية تقول ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً﴾ هناك هبوط فإذاً هي في موضعٍ غير موضع الأرض وفي موضعٍ

أعلى من الأرض، هل هي جنةُ الخلد؟! قطعاً لا، لأن جنة الخلد فيها مواصفات وفيها خصائص الذي يدخل فيها لا يمكن أن يخرج منها، حينما أقول الذي يدخل فيها لا يمكن أن يخرج منها لا أن يُفهم الكلام هكذا وكأنها بمثابة حديقة وفيها قانون وهذا القانون مكتوب على باب الحديقة أن من يدخل لا يجوز لهُ أن يخرج يعني تُسلب منهُ حرية الخروج هذه المعاني معاني ساذجة المراد من أن جنة الخلد الذي يدخل فيها لا يمكن أن يخرج منها لأن جنان الخلد ليست قضية بساتين وأشجار، هذه مرتبة من مراتب الخلق، وهذه المرتبة لها خصائص وأوصاف ومميزات من يدخل في هذا العالم، يعني على سبيل المثال من يخرج من بطن أمهِ لا يمكن أن يعود إلى بطن أمهِ حينما كان في بطن أمهِ كان في مواصفات هناك عالم هو عالم الرحم له خصوصياته ومميزاته فحينما خرج من هذا الرحم ودخل إلى عالم الحياة على الأرض هذا عالم آخر لها خصائصهُ ومميزاته لا يمكن أن يرجع إلى رحم أمه وهكذا حينما يموت الإنسان وينتقل إلى عالم البرزخ فعالم البرزخ أيضاً لهُ خصائصهُ ومميزاتهُ.

عالمُ الجنان أيضاً، جنةُ الخلد هذه الجنة جنة الخلد هذا العالم عالمٌ له خصائصه ومميزاته من يدخل في هذا العالم لا يمكن أن يخرج منه لا يعني أن هناك قانون مكتوب على باب الجنة أنهُ من يدخل فيها فكأنها مثل السجن لا يجوز لهُ أن يخرج منها، ليس هذا المعنى، هذا معنى سطحي وساذج وإنما عالم الجنان هو عالم له خصائصه ومميزاته والآن ليس الحديث عن مثل هذه المعاني لأننا إذا أردنا أن نُسهِبَ في بيان هذه الحقائق فنحتاج إلى وقتٍ طويل جداً، فهي ليست جنة الخلد ولا جنة على الأرض وإنما هي جنةٌ في السماء جنةٌ ما بين الأرض والسماء جنةٌ في مكانٍ عالٍ ما بين الأرض والسماء في السماء، ورد عندنا في الروايات أنها من جنان الدنيا مقصود من جنان الدنيا يعني من جنان سماء الدنيا يعني من الجنان التي هي في الجانب الأدنى، هو لماذا سميت دنيا لماذا سميت سماء الدنيا؟ السماء الدنيا يعني السماء التي هي أدون ما تكون أدنى ما تكون إلى الأرض الدنيا مأخوذ فيها هو هذا المعنى مأخوذ فيها معنى القرب ومعنى الدونية أيضاً أدنى أدون هناك معنى القرب، القرب من العالم الأرضي وفيها معنى الدونية هي الأدنى الأقل الأسفل. فعندنا في الروايات أن هذه الجنة من جنان الدنيا ليس من جنان الأرض وإنما من جنان العالم الدنيوي العالم الدنيوي ليس محصوراً في الأرض فقط العالم الأدنى العالم الأسفل، أليس تسمى السماء الدنيا لأنها أدون السماوات على أي حالٍ، فالجنة هذه لا هي من جنان الأرض ولا هي جنة الخُلد ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً﴾ رغداً هنيئاً، العيشُ الرغيد العيشُ الهنيء ﴿وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ لكما الحرية المطلقة في هذه الجنان ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ولكن ﴿وَلا تَقْرَبَا

﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لا تقربا والتعبير القرآني الموجود في القرآن الكريم عن هذه الشجرة لا تقربا لم نجد لا تأكلا ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ مثلاً قصة آدم أيضاً ذُكِرت في سورة الأعراف المباركة ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أيضاً هنا نهيٌ بعدم التقرُّب أيضاً ذُكِرت في سورة طه لكن لم يرد ذكر لعدم القرب وإنما ذُكِرت أوصاف الجنة ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ إلى آخر ما ورد في الآيات من سورة طه في قصة أبينا آدم عليه السلام.

﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أيَّةُ شجرة هذه؟ قالوا شجرة التفاح، وقالوا شجرة التين، وقالوا شجرة العنب، وقالوا شجرة الحنطة وقالوا وقالوا. وقالوا شجرة العلم، وقالوا شجرة الخُلد، وقالوا وقالوا. حينما سألوا الأئمة عدة روايات مثلاً عبد السلام بن صالح الهروي يسأل الإمام الرضا عليه السلام وحتى غير الإمام الرضا من أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لَمَّا سألوهم عن الشجرة هل هي شجرة الحنطة كما هو المشهور؟! المشهور في رواياتنا أن هذه الشجرة هي شجرة الحنطة، طبعاً الحنطة فيها رمزية، الحنطة هي شجرة الخبز، الخبز من أين يأتي؟ الحنطة هي معدن الخبز أساس الخبز ولولا الخبز لا صمنا ولا صلينا، الخبزُ رمزيتهُ رسول الله صلى الله عليه وآله، الخبز هو ولاية النبي وولاية أهل بيتهِ هذه الأشياء لها رمزية ربما نتحدث في يومٍ من الأيام عن الرمزية في المصطلحات القرآنية وعن الرمزية في كلمات أهل البيت وعن الرمزية في الوجود الرمزية ليست فقط في الألفاظ هناك رمزيةٌ في الموجودات مثلُ الماء، الماء هو رمزٌ لولاية أهل البيت الماء ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ الماء الطهور هو الذي يكون طاهراً في نفسهِ ومُطهراً لغيرهِ وتلك هي الولاية، الولاية هي الحقيقةُ الطاهرة بنفسها والمطهرة لغيرها الولاية الماءُ هل يطهرهُ شيءٌ آخر؟ الماء هو يُطهّرُ، الماء يُطهّرُ نفسهُ بنفسه، الماء يُطهرُ نفسهُ بنفسه ولاية أهل البيت أيضاً تحمل هذا المعنى ولاية أهل البيت تُطهرُ نفسها بنفسها ولاية أهل البيت تُمثلُ معنى أنها طاهرة ومعنى أنها طهور ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ فالخبزُ قلتُ الحنطة هي معدن الخبز والحنطةُ هي أصلُ الخبز والخبزُ هو رمزٌ لولاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولولا الخبز لا صمنا ولا صلينا.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فالإمام ماذا قال؟ قال هذه شجرةٌ ليست كأشجار الأرض هذه شجرةٌ فيها الحنطةُ وفيها العنبُ وفيها التينُ وفيها التفاحُ وفيها كل الثمار كل أنواع الثمار وفيها العلمُ فيها كل المعاني

هذه الشجرة هي شجرةُ أهل البيت ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ لا تقربا شجرة أهل البيت الروايات تتحدث ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي أن لا تتمنوا المنزلة والمرتبة التي لأهل البيت لا تتمناها يا آدم لا تقترب من هذا المعنى فإن الحسد سيصيبك وأهل البيت قالوا نحن المحسودون ومن جملة معاني نحن المحسودون إشارة إلى الحسد الأول الذي كان في جنة آدم حينما حسد تلكم الشجرة لأن إبليس كيف غوى آدم؟ حينما نقرأ في سورة الأعراف ماذا قال لهما إبليس ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ فمن هم الخالدون؟ الخالدون هناك أشخاص يعرفهم إبليس ويعرفهم آدم، هناك مجموعة خالدة وإلا لا يمكن أن يأتيهم بشيءٍ لم يكونوا قد عرفوه هو يريد أن يوسوس لهم هل يوسوس لهم بشيءٍ لم يكونوا قد عرفوه؟!

الآية في سورة الأعراف ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ فالخالدون نفسُ الكلام ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ هؤلاء هم الخالدون الآية تتحدث ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ وهذا العرض كان قد شاهدهُ إبليس، إبليس كان من جملة الملائكة لَمَّا بدأ العرض إبليس كان موجوداً مع الملائكة فماذا رأى؟ رأى هذا العرض الذي عبَّر عنهُ إبليس بالخالدين لذلك إبليس هكذا وسوس لآدم أنك إذا أكلت من هذه الشجرة فستكون من الخالدين الخالدون هذه الحقائق التي عُرضت على الملائكة ومن هنا بدأ الحسد مع أهل البيت لذلك قالوا نحن المحسودون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذه قصةٌ لكيفية خلق الإنسان بجميع هواجسهِ وبجميع حالاتهِ قصة تكاملية الآن الحديث عن قصة خلق الإنسان، لذلك مثلاً حينما نذهب إلى سورة الأعراف ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ يعني أن الأجهزة الجنسية، الأعضاء الجنسية والتناسلية لم تكن موجودة عند آدم وعند حواء كان هناك نقص في الخلقة وهذه عملية لإتمام الخلقة، لذلك نجد في سورة طه ﴿فَأَكَلَا﴾ لَمَّا أكلا من الشجرة ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ بدأت لهما سوآتهما بعد الأكل، إذاً عملية الأكل هي أيضاً عملية رمزية هي في جزء من تكوين إتمام خلقة آدم لأنهُ لابد أن ينزل إلى الأرض ولابد أن يتكاثر الإنسان على الأرض وحينما يتكاثر الإنسان على الأرض فإن آدم وإن حواء بحاجة إلى أعضاء تناسلية.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ كما قلت إن قصة أبينا آدم قبل

النزول إلى الأرض ليست كقصص التأريخ وليست كأحداث التأريخ هذه قصةٌ فيها رموز تتحدث عن كيفية خلقة آدم، آدم الذي ينزل على الأرض لابد أن تكون فيه جنبة ملائكية لذلك كان مع الملائكة لابد أن تكون فيه جنبة إلهية لذلك علَّمهُ الله العلم الخاص لابد أن تكون فيه جنبة شيطانية ولذلك تفاعل مع إبليس وكانت لهُ علاقة مع إبليس لابد أن تكون له جنبة أرضية فيها الجانب الشهوي لذلك بدت لهما سوآتهما فلابد ولابد هناك أجزاء تتكامل في بُنية التركيبة الإنسانية.

أليس الإنسان كما يقول علماء الأخلاق وعلماء الروحانيات أن الإنسان يشتمل على مجموعة من القوى هناك القوة العقلية التي تمثل الجانب الملائكي وهناك كذلك القوة الشيطانية التي تمثل الجانب الإبليسي وهناك القوة السبعية أو الغضبية التي تمثل الجانب الحيواني وهناك القوة الشهوية أو هناك القوة النامية التي تمثل الجانب النباتي فهذه النفس البشرية مشتملة على مجموعة وهناك طبعاً قوى أخرى قوى ما وراء هذه القوى وهي القوى الإلهية فهذه القصة هي قصة تكوين الإنسان، التكوين البشري لذلك ملئى بالرموز وأنا هنا لا أريد أن أدخل أيضاً في موضوع معصية آدم عليه السلام وقضية ترك الأولى وهذه مباحث قد تكون سطحية في جانب منها ولا أريد الخوض فيها لأن الكلام سيتشعب.

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أزلهما الشيطان عنها: نحن إذا أردنا أن نلتفت إلى لهذا التعبير القرآني ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ عنها عن تعطي معنى التجاوز أليس يقولون أن عن تعطي معنى التجاوز ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ عن أي شيءٍ؟ عن الجنة؟ قد يكون هذا المعنى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ لكن إذا نُدقق النظر أزلهما الشيطانُ عن ماذا؟ عن الشجرة ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ عن الشجرة فإذاً هي ليست قضية أكل لو كانت أكل لَمَا كان الشيطان يبعدهما عن الشجرة لكان الشيطان يقربهما للشجرة حتى يأكلان منها كيف يأكلا منها وهما يبتعدان عنها جسدياً تلاحظون العبارة دقيقة جداً ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ ربما قد يقول قائل فأزلهما الشيطان عن الجنة ومع ذلك يبقى التعبير فيه شيء من الضعف ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ أزلهما عن الشجرة يعني أبعدهما عن شجرة أهل البيت ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ بسبب هذا ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ هذي الفاء ترتيبية فترتب على ذلك ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ مما كانا فيه في الجنة ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يعني عداوة فيما بين إبليس وبين آدم وأمنا حواء ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين: هناك استقرار ومتاع ولكن إلى حين، الاستقرار يعني الفترة الطويلة والمتاع الفترة القصيرة فهناك من الناس من يستقرُّ من يطول عمرهُ وهناك من الناس يموت وهو في بطن أمهِ أو وهو في المهد فهناك استقرار ومتاع.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ فتاب عليه فرجع إليه تاب رجع فبعد أن نزل إلى الأرض والروايات تقول أن جبرئيل نزل إليه يواسيه فآدم وهو يتحدث مع جبرئيل عليه السلام طلب من جبرئيل أن يُذكرهُ بالأسماء التي رآها على العرش لأنهُ حين سأل الله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى أجابهُ بأن هذه الأسماء هي أحبُّ الأسماء إليه فآدم طلب من جبرئيل أن يُذكِرهُ لأن إبليس أبعدهُ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ أبعدهُ الشيطان عن الشجرة فنسيَ آدم، لذلك نحنُ حين نقرأ في سورة طه ماذا نقرأ؟ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ وهذا العهد هو عهد الولاية وطبعاً هذا الكلام قبل أن ينزل إلى الأرض نحن لا نريد أن نحاسب أبانا آدم قبل أن ينزل إلى الأرض هذه عملية خلقة وإنما يُحاسب آدم بعد نزولهِ إلى الأرض كما قلت بأن قصة أبينا آدم قبل النزول إلى الأرض هذه قصةٌ أخرى فيها رموز وفيها إشارات وفيها حقائق وعملية تكوين وعملية خلق، لذلك عندنا في الروايات أيضاً أن آدم كان عنده أنيس، صديق من الملائكة، حينما كان آدم في الجنة كان هناك مَلَك من الملائكة كان صديقاً لآدم وأنيساً لآدم فلمَّا نزل آدم إلى الأرض وأصابهُ الندم وأصابهُ الأذى بما جرى في الجنة، الله سبحانه وتعالى أنزل إليه ذلك المَلَك كي يواسيه لأنهُ كان صديقاً له حينما كان في الجنة فمن جملة ما حَادثهُ المَلَك، حَادَثَ آدم قال يا آدم أنت عصيت وأنت يعني أصابك الأذى وأنّبت نفسك ولكن لتعلم يا آدم إن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا قبل أن تدخل إلى الجنة بأنك ستنزل إلى الأرض فقال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني إن هذا الأمر النزول إلى الأرض كان مُقدَّراً لك وعليك قبل أن تجري الأحداث التي جرت في الجنة.

فأعود إلى الرواية أن آدم طلب من جبرئيل أن يُذكرهُ بتلكم الأسماء بالأسماء الخمسة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ هذه الكلمات جاءت من طريق جبرئيل فأقسم على الله بالأسماء الخمسة بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين فتاب الله عليه والروايات في هذا الموضوع كثيرة جداً وأنا قلت هذا المطلب بحاجة إلى تفصيل كثير لكن وقت البرنامج لا يسمح بذلك لأنني قلتُ في أول الحديث هذه القصة ليست قصةً تأريخية حتى أسرد لكم قصةً تأريخية في زمانٍ معين وفي مكانٍ معين هذه قصة قبل الزمان وقبل المكان

الأرضي قبل الزمان الأرضي وقبل المكان الأرضي في زمانٍ آخر غير هذا الزمان الذي نحنُ نعرفهُ وفي مكانٍ آخر غير هذا المكان الذي نحن نعرفهُ وفي عالمٍ فيه ملائكة وأجواء ملائكية وجنان، هذا في مقامٍ من مقامات الخلق غير هذا المقام الذي نحن نعيش فيه والروايات عن أهل البيت كثيرةٌ جداً لكن الآيةُ الأخيرة ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ في بعض روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن الكلمات التي دعا بها آدم:

يا محمودُ بحقِّ مُحَمَّد ويا عالي بحقِّ علي ويا فاطر بحقِّ فاطِمَة ويا مُحسِنُ بحقِّ الحسن ويا قديم الإحسان بحق الحُسين عَجِّل في فرج إمام زماننا صلواتك وسلامك عليه وعلى آبائه وأجدادهِ الأطيبين الأطهرين.

أسألكم الدعاء جميعاً وتصبحون على ولاية ومودّة أصحاب الكساء وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ